الفصل الثالث والسبعون

بيوت العبادة

والمعبد هو الموضع المخصص للعبادة . وقد وردت في النصوص الجاهلية وفي عربية القرآن الكريم ألفاظ تؤدي هذا المعنى ، فقد كان الجاهليون قد اتخذوا معابد ثابتة ومعابد متنقلة مثل بيوت الوبر ، تعبدوا بها الى معبوداتهم قبل الاسلام وقبل الميلاد .

فقد كانت القبائل في حركة دائمة ، بحثاً عن الغزو والكلأ والماء . وكانت آلهتها في حركة دائمة أيضاً ، ترحل مع المتعبدين لها ، وتستقر عند استقرارهم بمكان ما . وعند نزول القبيلة في موضع ما توضع الأصنام في قبتها ، وهي خيمة تقوم مقام المعبد الثابت عند أهل المدر . وتكون للخيمة بسبب ذلك قدسية خاصة ، وللموضع الذي تثبت عليه حرمة ما دامت الخيمة فوقه . وقد كانت معابد القبائل المتنقلة كلها في الأصل على هذا الطراز[1] . ولم يكن من السهل على أهل الوبر تغيير طراز هذا المعبد ، واتخاذ معبد ثابت . لخروج ذلك على سنن الآباء والأجداد . ولذلك لم يرض العبرانيون عن المعبد الثابت الذي أقامه سليمان ، لما فيه من نبذ للخيمة المقدسة التي كانت المعبد القديم لهم وهم في حالة تنقل من مكان الى مكان . ثم ان أهل الوبر قوم رحل ، ولا يمكن لمن هذا حاله اتخاذ معبد ثابت له ، لما كان عليه من وجوب نقل أصنامه معه حيث يذهب .

---

١ Die Araber, III, S. 132.

ولبيوت الأصنام سدنة ، يحفظون الأصنام بها ويرعونها ، وينقلونها معهم حيث ترحل القبيلة ، فإذا نزلت نزلوا بها ، ليقيموا لها الواجبات الدينية المفروضة في الخيمة المقدسة . حيث فرضت طبيعة البداوة على أصحابها هـذا النوع من أنواع البيوت المقدسة ، وهذه الطقوس الدينية التي تلائم حياة الأعراب .

وبيوت العبادة عند الجاهليين ثلاثة أنواع : بيوت عبادة خاصة بالمشركين عبدة الأصنام ، وهم الكثرة الغالبة ، وبيوت عبـادة خاصة باليهود ، وبيوت عبـادة خاصة بالنصارى . أما بيوت عبادة المجوس ، فقد عرفت في العربية الشرقية وفي العربية الجنوبية ، ولكن عبّادها هم من المجوس ، أي العجم،فالمجوسية لم تنتشر بين العرب ، ولم تدخل بينهم إلا بين عدد قليل من الناس .

وما ذكرته عن بيوت العبادة ، خاص بالمعابـد العامة ، وهناك مواضع عبادة خاصة ، جعلت في البيوت ، وضع أصحابها أصنامهم في ركـن من أركانها ، وتقربوا اليها . روي ان العباس ، كان قد أقام الصنمين أسافـاً ونائلة في ركن داره ، وكانا حجرين عظيمين[1] . واحتفظ غيره بأصنام في بيوتهم للتبرك بها ، ولحماية البيت ، وكانوا اذا سافروا حملوا أصنامهم الصغيرة معهـم للاحتماء بها ، وأخذ بعض شباب المدينة ما وجـده من أصنام في البيوت ، تعبّد لهـا آباؤهم فحطمها ، ومنهم من رماها في مواضع العذرة والقاذورات .

وقد استطعنا اليوم بفضل جهود السياح والمنقبين والباحثـين من الحصول على بعض المعلومات عن معابد جاهلية كانت عامرة يوماً ما . وذلك بعثور المذكورين على ألواح مكتوبة وجدت في خرائب تلك المعابد . ولكن ما عثر عليه ، لا صلة له بالدين في الغالب ، فليس فيه أدعية أو صلوات أو كتابات تفصح عن عقائد القوم وعن أمور دينهم . ولهذا فإن علمنا بديانات الجاهليين لا يزال ضحلاً ، لم يتقدم تقدماً مرضياً ، وأملنا الوحيد في زيادته هو في المستقبل ، فلعله يخرج من صناديق سره المكتومة ما يفصح عن عقائد القوم .

وقد اتخذ بعض العرب ، وهم المتمكنون ، بيوتاً وكعبات لعبادة أصنامهم ، وضعوا أصنامهم في أجوافها ، ومنهم من اتخذ صنماً ، فلم يبن عليه بناءً ، لعدم استطاعتـه ذلك . ومن لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت ، نصب حجراً أمام

---

١ الازرقي (١/١١٢) ، (٢/١٨٨) .

الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، وسمّوهـا الأنصاب[1] .

وذكر أن (وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي) ، كان قد اتخذ لـه صرحاً بالحزورة ، سوق كانت بمكة، يرتقيه بسلالم يتعبد فيه ، فعرف بصاحب الصرح[2] .

والبيت ، مأوى الانسان ومسكنه في الأصل ، ثم تجوز الناس فأطلقوا اللفظة على المعبد ، باعتبار أنه بيت الآلهة أو الإلـه ، لاعتقادهم أن الآلهة تحـل به[3] . وقد كانوا يضعون الصنم أو الأصنام فيه . ويقال للبيت عندئذ (بيت الله) أو (بيت ريام) وهو بيت يذكر (ابن الكلبي) أنه كان لحمـير بصنعاء ، وأن الناس كانوا يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح[4] ، أو (بيت الربة) ومـا شاكل ذلك ، بحسب اختصاص البيت بالصنم .

كذلك أطلقت كلمة (بيت) بمعنى معبد في نصوص المسند، فورد : (وقدسو بيت مرب) ، أي (وقدسوا بيت مأرب) أو (وبيت مأرب المقـدس)[5] . فلفظة بيت هي اللفظة التي استعملت لمواضع العبادة ، أي المعبد ، أطلقت قبـل اسم الإلـه أو الموضع لتدل على التخصيص . وهي ترد في لغات سامية أخرى في هذا المعنى نفسه .

وأما (الكعبة) فالبيت المربع ، وكل بيت مربع كعبة عند العرب . وقـد خصصت في الإسلام بالبيت الحرام بمكة . والكعبة الغرفة أيضاً . وقد كان لربيعة بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات ، وقيل : ذو الكعبات ، وقد ذكره الأسود ابن يعفر في شعره ، فقال :

والبيتِ ذي الكعبات من سنداد[6]

والمسجد كل موضع يتعبد فيه[7] . وقد استعملها الجاهليون بهذا المعنى أيضاً .

---

١ الاصنام (٢١) « روزا » .
٢ تاج العروس (٢/١٣٩) ، (صرح) .
٣ المفردات (٦٤) .
٤ الاصنام (٧) « روزا » .
٥ CIH 541, Le Muséon, 1934, LXVII, p. 103.
٦ اللسان (١/٧١٨) ، المفردات (٤٤٦) .
٧ اللسان (٣/٢٠٤ وما بعدها) ، تاج العروس (٢/٣٧١) ، (سجد) .

وقد وردت اللفظة في نصوص بني إرم وفي النصوص النبطية والصفوية . ورد على هذه الصورة (مسجـدا) في نصوص بني إرم ، وورد على هـــذه الصورة في النصوص الصفوية أيضاً ، وقد عنت به معبداً [١] .

وقد عبر عن المعبد بلفظة (مكربن) ، أي (المكرب) أو (المكراب) في بعض نصوص المسند ؛ إذ ورد (مكربن يعق) ، بمعنى (معبد يعوق) [٢] . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (مكراب) في الحبشية ، ومعناها (معبد) [٣] . ولهذا ذهب (كلاسر) وغيره الى ان (مكربة) Mocoraba ، المدينة المذكورة في (جغرافيا) (بطلميوس) هي (مكة) ، لأنها (مقربة) الى الأصنام ، فهي بمعنى (البيت) و (الكعبة) في لهجتنا [٤] .

وتقابل كلمة (المعبد) كلمة Templum اللاتينية التي تعني موضعاً مربعاً ، فهي بمعنى (الكعبة) ، و (كعبة) في اللغة العربية . ويلاحظ توافق تام بين معنى الكلمتين في هاتين اللغتين [٥] . ولا بد ان يكون لاتخاذ هذا الشكل للمعبد سبب ، إذ لا يعقل ان يكون قد جاء ذلك عفواً ، ولا سيما اننا نلاحظ ان الكلمتين : اللاتينية والعربية ، قد جاءتا من شكل البناء ونوعه وطرازه .

وذكر علماء اللغة ان في جملة الألفاظ التي تطلق على بيوت الأصنام والعبادة والتصاوير ، لفظة (البد) . وهي تؤدي معنى (صنم) كذلك . وذكروا انها من الألفاظ المعربة عن الفارسية . عربت من (بت) [٦] ، وانها تعني البيت اذا كان فيه أصنام وتصاوير [٧] .

وذكروا أن في جملة الألفاظ التي أطلقت على بيوت الأصنام لفظة (الطاغوت) والجمع (الطواغيت) . ورد أن العرب « كانت قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمهـــا كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ، وتهدي اليها ، كما

---

١ العرب في سورية قبل الاسلام (١١٩) .
Shorter Ency. of Islam, p. 330, Cooke, North Semitic Inscriptions, p. 238.
٢ Le Muséon, 1954, LXVII, p. 100.
٣ Ency., II, p. 586.
٤ Glaser, Skinzze, II, S. 235.
٥ Ency. Religi., Vol., 12, p. 236.
٦ تاج العروس (٢/٢٩٥) ، (بدد) .
٧ شمس العلوم (حـ ١ ، ق ١ ، ص ١١٩) ، غرائب اللغة (٢١٨) .

تهدي الى الكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر ، عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده»[1]. وورد أن (الطاغوت) الصنم ، وكل معبود من دون الله ، ولما تقدم سُمي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً[2] . واللفظة تعني في لغة (بني إرم) : رئيس عقيدة ضلال ، وشيطان وصنم[3] .

و (الهيكل) من الألفاظ الدالة على موضع العبادة ، استعملت لبيوت الأصنام مجازاً ، ولمعابد النصارى[4] . والظاهر أن استعمالها كان عند العرب الشماليين في الغالب ، مثل عرب العراق وعرب بلاد الشأم ، ولا سيما عند النصارى منهم . أخذوها من الآراميين ، إذ هي بمعنى بيت الصنم ، أي معبد الوثنيين عندهم[5] . وقد وردت في لغة (المسند) كذلك ، وردت بمعنى (قصر)[6] ، ومعبد في أيام دخول النصرانية الى اليمن .

وقد أطلق (الديدانيون) على بيت (بعل سمن) ، لفظة : (احرم) بمعنى (الحرم) تعظيماً وتمجيداً له . فهو ذلك الإلـه[7] . وترد لفظة (محرم) — التي لا زالت حية معروفة يطلقها أهل اليمن على محرم (بلقيس) — في لغة المسند ، بمعنى المعبد ، والمسجد الحرام . وقد وردت في عدد من النصوص[8] .

وبيوت العبادة أنواع . بيوت عبادة كبيرة ، يحج اليها في أوقات معينة ، ومواسم محددة ، من مواضع قريبة أو بعيدة ، هي محجات يحج اليها في وقت معين ثابت ، يتقرب بها المتعبدون الى رب المحجة أو أربابها بأداء واجب الخضوع والطاعة . وتكون محجة واحدة في الغالب ، اختارها الإلـه أو الآلهة من بين سائر أماكن الأرض لتكون موضعاً مقدساً وحرماً آمناً ، فهي أقدس بقعة وأعز مكان في نظر المتعبدين لها على وجه هذه الدنيا . فلا تدانيها المعابد الأخرى ولا تبلغ منزلتها في الحرمة والمكانة .

---

١ ابن هشام (١/٨٦ وما بعدها) ، هامش على الروض الانف (١/٦٤) .
٢ المفردات ، للاصفهاني (٣٠٧) ، الاصنام (٦) ، تاج العروس (١٠/٢٢٥) ، (طغا) .
٣ غرائب اللغة (١٩٤) . Hughes, Dictionary of Islam, p. 625.
٤ تاج العروس (٨/١٧٠) ، (هيكل) .
٥ غرائب اللغة (٢٠٩) .
٦ Jamme, South Arab. Inscriptions, p. 433.
٧ Histoire, IV, p. 312, Preislamiques, p. 20.
٨ Jamme, South Arabi. Inscriptions, p. 440.

وهناك بيوت عبادة أخرى تكون دون المحجات في الأهمية والدرجة ، لأن الآلهة لم تختارها لنفسها ولم تنص على اسمها ، وانما هي دور عبادة أقامها الناس تقرباً الى تلك الآلهة . وهي متفاوتة في الدرجة أيضاً ، فيها المعابد الكبيرة التي صرف على اقامتها مال كثير ، وفيها معابد بسيطة ، يقيمها الناس تقرباً الى أربابهم .

والناس في ذلك العهد ، كالناس في ايامنا هذه ، لا يكتفون بتشييد معبد واحد في المدينة ، بل نجدهم يقيمون جملة بيوت للعبادة ، وقد خُصص بعضها بعبادة جملة آلهة ، وخصص بعضها بعبادة إلَه واحد معين، يذكر اسمه على باب المعبد . وقد تبنى في الموضع الواحد جملة معابد لإلَه واحد ، لأن المعابد من الأعمال الخيرية التي يقوم بها المؤمنون تقرباً الى الآلهة ، لذلك يصادف قيام جملة أسر ببناء معابد لذلك الإلَه ، تسميها باسمه وتنقش اسم الأسرة أو المتبرع بالبناء على موضع بارز من المعبد . وبفضل هذه الطريقة القديمة ، التي لا تزال البشرية تتبعها ، تمكنا من الحصول على معلومات عن تلك المعابد وعن الآلهة التي خصصت لها وعن أسماء المؤمنين الذين أقاموها .

وقد اتخذ الانسان من الكهوف بيوتاً للعبادة ، كما اتخذ من الجبال والمواضع المرتفعة أماكن بنى عليها معابده ، ليكون في رأيه ونظره أقرب الى السماء ، حيث تقيم الآلهة ، فتسمع دعاءه ، وتصل اليها كلمته ، وتستجيب له ، أكثر من استجابتها له لو كان على سطح الأرض . وبنى الحضري معبده في المواطن التي يقيم فيها ، وحاول جهده الإنفاق عليها ، والتفنن في بنائها وزخرفتها ، لتكون بيوتاً تليق بسكنى الأرباب . أما البدو ، فكانت معابدهم في الخيام ، تحفظ فيها أصنامها ، فتنتقل معها ، وتضرب في الموضع الذي تحل القبيلة فيه ، ينظرون اليها نظرة تقديس وإجلال ، لأنها حرم الآلهة وأماكنها وبيوتها المقدسة ، فلا يجوز تدنيسها ولا انتهاك حرمتها . لهذا لم يكن يسمح لأحد بالدخول اليها إلا اذا كان من رجال الدين .

ولهذه الخيام المقدسة سدنة ، يضعون الصنم أو الأصنام في جوفها ، ويسهرون على خدمتها ، وينقلونها معهم حيث تنتقل القبيلة . وهم يتوارثون خدمتها . واذا استقرت القبيلة وتحضرت ، تحضر معبد صنمها بتحضرها كذلك . ووجد الصنم

عندئذ له مستقراً دائماً ومقاماً ثابتـاً ، ويصير عندئذ في عداد الأصنام الثابتة . ويكون للصنم عندئذ معبد تتناسب قيمته وأهميته ودرجة عمرانه ، مع مكانة القبيلة وعدد رجالها وغناها وما عندها من مال .

وللعين أهمية كبيرة في تقييم المعبد وفي نشر العبادة وفي تكوين شخصية الإلـه رب المعبد فيما بين الناس . فكما أن قيمة الانسان بملبسه وبأناقته وبحسن مظهره ، كذلك تكون قيمة المعبد بضخامته وبما يزين به من نقوش وزخارف وبمـا يعلق على الموضع المقدس منه من ذهب وفضة وأحجار كريمة . فالمعبد الضخم ، يدل على قوة الإلـه وقدرته في نظر من ينظر بعينه لا بعقله الى قيم الأمـور ، أي في نظر السواد ، وهم الكثرة الغالبة ، ولذلك يجلبهم اليه ، وتلقى ضخامته في نفوسهم تأثيراً كبيراً يجعلهم يشعرون أنهم أمام بيت إلـه حقاً ، لما فيه من روعة ولمـا تفوح في داخله من روائح البخور والطيب ، لذا حرص رجال الدين على جعل معابدهم ضخمة فخمة ، لتجلب لها أكبر عدد ممكن من المتعبدين .

ومن أشهر المواضع المرتفعة التي حج اليها المتعبدون للتبتل والتعبد ، والتي ورد ذكرها في قصص أهل الأخبار : حِراء ، وأبو قبيس ، وثبير .

أما (حراء) فقد ورد في بيت منسوب الى شاعر جاهلي :

فإني والذي حجت قريش محارمه ، وما جمعت حراء[1]

وجعل أحد الأجبل الخمسة التي بُني من حجارتها البيت[2] . واليه كان يلجـأ كبار قريش لدعوة آلهتهم في الملمات ، واليه أيضاً كان يأتي بعض المتحنثين النسّاك الزاهدين في عبادة الأوثان للتفكير والتأمل . وفيه غار تحنث فيه النبي ، ويعرف بـ (جبل النور)[3] . وورد ان أبا طالب أرسل عقيلاً ليأتـي بالرسول اليه ، فذهب الى (كبس) ، وأخرجه منه . والكبس الغار[4] . ويظهر انه أراد بـه غار حراء .

---

١ البكري (٢/٤٣٢) ، (حراء) ، هو « عوف بن الاعوص » العامري ، شرح ديوان لبيد (٢١) .
٢ الازرقي ، أخبار مكة (١/٢٦) ، (ما ذكر من بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة) .
٣ تاج العروس (١٠/٨٧) ، (حرو) .
٤ تاج العروس (٤/٢٣٩) ، (كبس) .

وأما (أبو قبيس) ، فيظهر من غربلة أخبار الأخباريين انه كان من المواضع المقدسة الداخلة في شعائر الحج ، يرتقي الحجاج ظهـــره ، ليتموا بذلك مناسك حجهم ، وليدعوا آلهتهم بما يطلبون ويرغبون . وكان مقصوداً عند نزول الشدة والبلاء . فالمظلوم يجد محله فوق هذا الجبل للدعاء عند انحباس المطر ، لنزول الغيث[1] .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ، انه سمّي (أبا قبيس) برجل من مذحـــج حدّاد ، لأنه أول من بنى فيه ، أو بقبيس بن شالخ ، رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه (مية) ، فنذرت ان لا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها فحلف ليقتلن قبيساً ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره . فإما مات وإما تردّى منه ، فسمي الجبل أبا قبيس . « وله خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب . وكان أبو قبيس الجبل هذا يسمى الأمين ، لأن الركن ، أي الحجر الأسود ، كان مستودعاً فيـه »[2] . « وكان الله عز وجل استودع للركن أبا قبيس حين غرق الله الأرض زمن نوح » ، فلما أقام (ابراهيم) قواعد البيت ، (جاءه جبريل بالحجر الأسود)[3] . والظاهر ان بيتاً للعبادة كان عليه ، وانه كانت له صلة بالبيت ، فتجسمت هـــذه الصلة في الذي ذكروه عن الحجر الأسود ووجوده فيه .

وأما (ثبير) ، فقد كانوا يفيضون منه في الحـج على نحو يذكر في شعائر الحج .

ويلاحظ أن أهل العربية الجنوبية وأهل السراة قدسوا قمم الجبـــال ، فجعلوا فيها معابد لعبادة الآلهة ، مثل معبد (اوم) (أوّام) في (الو) . وقد أزيلت معالم تلك المعابد في الإسلام ، ولكن بعضها أخذ طابعاً اسلامياً فصير مثلاً قـبراً من قبور الأنبياء مثل : (حضور نبي شعيب) ، الذي يقع على قمـة جبل تعد من أعلا قمم جبال العربية الجنوبية ، و (نبي ايوب) و (مقلى) عـــلى محر (مبلقة)[4] .

---

١ المشرق : السنة التاسعة والثلاثون ، تموز – أيلول ١٩٤١ ، (ص ٢٥٢ ومـــا بعدهـــا) .

٢ تاج العروس (٤/٢١٢) ، (فبس) .

٣ الازرقي (١/٢٧) ، (ما ذكر من بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة) .

٤ تاج العروس (٣/١٤٨) ، (حضر) ، Beiträge, S. 85, Ency., II, p. 222.

وترجع قدسيـــة المواضع المقدسة وحرمتها الى الاعتقاد بنزول الآلهة في هـــذه المواضع ، والى وجود قوى خارقة فيها ، أو الى وجود مقدسين فيهـا قبروا في باطنها ، فقدست تلك المواضع لهذه الأسباب . وتعرف هذه المواضع المقدسة بأسماء من تقدست بهم ، وبأسماء المواضع التي تقع فيها .

وإنا لنرى كثيراً من الأماكن المقدسة قد أقيمت في جزيرة العرب عند الينابيع والآبار المقدسة حيث تروى الأرض بالماء فتنمو به المزروعات ويستقي منها الناس. وقد صوّر هذا الخصب لسكان تلك المنـــاطق وجود قوى خارقة كامنة في تلك الأرضين كانت السبب في نظرهم في بعث الحياة للإنسان ولهذه الأرض[1] .

وقدست بعض المواضع وأقيمت المعابد بها ، بسبب وجود أشجار مقدسة بها، ونجد في أخبار أهل الأخبار أن بعض المعابد مثل معبـــد العزى ، كان المتعبدون يتقربون بها الى سمرات ، أي شجرات ثلاثة ، أو الى شجرة واحـدة ، فكانوا يعلقون عليها الحلي ويزينونها ، ومثل معبد (ذات أنواط) ، وهي شجرة كانت تعبد في الجاهلية ، وهي سمرة كان المتعبدون لها ينوطون بهـــا سلاحهم ويعكفون حولها[2] .

وقدست مواضع أخرى لوجود أحجار مقدسة بها ، كانوا يطوفون حولها من هذه المواضع : (عكاظ) . فكان الناس يأتون الموضع في الموسم ، فينصبون فيه خيامهم ، ويقيمون سوقهم ، ويطوفون بأحجار عكاظ ، يقيمون عـلى ذلك أيام الموسم . فهي أيام عبادة وتجارة وفرح .

ولهذه القدسية والحرمة ، لم يسمح للسواد الأعظم من النـــاس بدخول الغرف المقدسة المخصصة بالآلهة ، لأنها بيوت الآلهـــة ، وعوض لهم عن هـــذا التحريم بالطواف حولها أو بلمس جدرانها ، وللسبب نفسه ، حتم على القاصدين لها غسل أجسامهم وتنظيفها ولبس ملابس طاهرة نظيفة ، كان سدنة بعض تلك المعابد ، أو أهل المواضع التي تقع فيها المعابد يؤجرونها للناس بأجـــر معين مرسوم ، إن كانت تلك المعابد من المعابد الكبيرة وفي مواسم الحج . كذلك لم يكن يسمح لأحد بالدخول الى المعابد والأحذية في أرجلهم فلا بد من خلعها والدخول بغير أحذية

---

١ Ency. Religi., 6, p. 753, Robertson, p. 115.

٢ تاج العروس (٥/٢٣٦) ، (نوط) .

احتراماً لقدسية المكان وخشية التدنيس[1] . وقد حتم الجاهليون على من يريد دخول الكعبة من المتمكنين خلع نعليه ، احتراماً للبيت . ذكر أهل الأخبار ان أول من خلع نعليه لدخول الكعبة (الوليد بن المغيرة) ، فخلع الناس نعالهم في الاسلام[2] .

وقد عثر على كتابات جاهلية تبين منها ، ان الجاهليين كانوا يعدّون طهارة الملابس وطهارة الجسم من الأمور الملازمة لمن يريد دخول المعبد ، فإذا دخل انسان معبداً وهو نجس عدّ آثماً ، وقد ورد ان رجلاً اتصل بامرأة ، ثم دخل المعبد بملابسه التي كان يلبسها حين اتصل بها ، فعدّ آثماً ، ودفع فدية عن إثمه ارضاءً للآلهة[3] . وورد ان رجلاً دخل معبد الإله (رب السماء) (ذسموى) بملابس نجسة ، فدفع فدية عن ذلك ، جزاء ما ارتكبه من إثم[4] . فدخول المعابد بملابس نجسة ، نجاسة : مادية أو معنوية ، إثم ، تعاقب الآلهة عليه،لهذا اشترطت ديانتهم عليهم عدم دخول بيوت الآلهة ، إلا بملابس طاهرة نظيفة حرمة وتقديراً لهذه البيوت .

وللسبب المذكور اشترط سدنة الصنم (الجلسد) على من يريد من عبّاده تقديم قربان اليه ، أو تكليمه كراء ثياب مسدنة ، للبسها بدلاً من ملابسهم ، لأنها ملابس نظيفة طاهرة ، لم تمسها أدران مادية أو معنوية[5] . وهو شرط نجده عند غير العرب أيضاً كالعبرانيين[6] . وقد كانت المعابد تدخر ملابس تكريها لمن يريد أداء شعائر زيارة بيوت الأصنام .

وورد في كتب أهل الأخبار ، أن الجاهليين حتموا على المرأة الحائض ألا تمس الصنم ولا تمسح به،والا تدخل بيته لنجاسة الحيض[7] . وورد أن (فاختة) أم (حكيم بن حزام بن خويلد) ، كانت دخلت الكعبة وهي حامل متمّ بحكيم

---

١ Ency. Religt., 6, p. 753.

٢ ابن رسته ، الاعلاق (١٩١) ، صبح الاعشى (٤٢٨/١) .

٣ Glaser 1052, Hofmus 6, CIH 523, Grohmann, S. 251, f.

٤ Rep. Epigr., 3956, Grohmann, S. 252.

٥ البلدان (١٢٢/٣) .

٦ « ثم قال الله ليعقوب : قم فاصعد الى بيت ايل ، واقم هناك ، واصنع هناك مذبحا لله الذي ظهر لك عند هربك من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لاخيه وسائر من معه : أزيلوا هذه الالهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وابدلوا ثيابكم . وهلموا نصعد الى بيت ايل » ، التكوين ، الفصل (٣٥) . الآية ١ وما بعدها .

٧ الاصنام (٣٣) ، خزانة الادب (٢٤٥/٣) .

ابن حزام فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها فلفت في الأنطاع هي وجنينها وطرح مشبرها وثيابها التي كانت عليها ، فجعلت لقي لا تقرب[1]. فيظهر من هذا الخبر ان اهل مكة كانوا يعتبرون دم المخاض والولادة نجساً ، ولهذا اعتبرت الأنطاع التي وضعت (فاختة) جنينها عليها، بل اعتبرت هي نجسة أيضاً ، فلفت بالأنطاع ، وألقيت ، وجعلت لقي لا يمسها أحد .

وعثر المنقبون على أحواض داخل المعابد في العربية الغربية ، يظهر أنها كانت للوضوء ، لتطهير الجسم قبل الدخول الى المسجد ، موضع الصنم . وذلك بغسل الوجه واليدين والقدمين وربما الأبدان كذلك ، قبل الدخول الى بيت الصنم . ولكون هذا الوضوء تطهيراً للجسم ، عرفت (الميضأة) بالمطهرة ، لأنها تطهر من الأدران[2] . ولهذا السبب ، حفرت الآبار في المعابد ، لتموين هذه الأحواض بالماء ، وللتبرك أيضاً بالماء المقدس ، ولاستعماله في أغراض أخرى ، منها تنظيف الجسم من الأدران بعد قضاء الحاجة .

ولهم آداب اتبعوها حين دخولهم بيت الصنم وحين خروجهم منه . من ذلك ان القبائل كانت تتجنب ان تجعل ظهورها على مناة اعظاماً للصنم . فكانت تنحرف في سيرها ، حتى لا يكون الصنم الى ظهرها . وفي ذلك قال الكميت بن زيد ، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها مُتَحَرِّفينا[3]

وقد تطورت أشكال المعابد وهندستها بتطور الحضارة ، وبشكل طبيعة الأرض التي يقام المعبد عليها . وهي تتناسب مع درجة تطور الشعوب ودرجة رقيها وطراز تفكيرها واختلاطها بالأمم المجاورة . ولذلك نجد معابد (تدمر) مثلاً قد تأثرت بطراز البناء الإغريقي ، لتغلغل الثقافة اليونانية فيها ، ولتأثر سكان المدينة باليونان . كذلك نجد هذا الأثر والأثر الروماني في معابد بلاد الشأم وفلسطين ، فالمعبد اذن

---

١ الروض الانف (١/١٣٤) ، الاصابة (١/٣٤٨) ، (رقم ١٨٠٠) ، كتاب نسب قريش (٢٣١) .

٢ تاج العروس (١/١٣٤) ، (وضوء) .

٣ ابن هشام (١/٩٠) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ١١) ، ابن هشام (١/٦٥) ، (حاشية على الروض الانف) ، (قصة عمرو بن لحي ، وذكر أصنام العرب) .

هو نموذج معبر عن نفسية الناس وعن حضارتهم ودرجة تفكيرهم وعن هندستهم، ومدى تأثر فن البناء عندهم بالمؤثرات الداخليـــة الأصيلة أو المؤثرات الدخيلة في الزمن الذي قام فيه البناء .

ومن هنا نجد معابد اليمن ، اتخذت لها الحجارة الضخمة المتقطعة من الصخور في بناء الجدر والأرض وفي الأعمـــدة ، ونجد المعمار قد تفنن في تزويق الجـــدر والأعمدة والسقوف وفي زخرفتها ، فصارت المعابـد ضخمة جميلة ، لا تضاهيها المعابد التي أقيمت في مواضع سهلة من جزيرة العرب ، لعدم وجود المواد الصالحة للبناء فيها ، ولأن الطبيعة لم تهب للمعمار فيها ما يدفعه الى بناء أبنية ضخمة فيها تضاهي معابد أهل اليمن .

الاستفسار عن المغيبات :

ولم تكن المعابد مواضع عبادة وتقرب الى الأصنام حسب ، بل كانت مواضع استفسار عن المغيبات كذلك ، يقصدها أهل الحاجات لسؤال الآلهة عمـــا عندهم من مشكلات ، أو عما سيخبئه لهم المستقبل من أمور ، أو عن أعمـال يريدون القيام بها ، أو عن سرقة ، وما شابه ذلك من طلبات . ومن هذه البيوت بيت رئام ، وقد كانوا يكلمون منه وينحرون عنده[1] . وبيت العزى، وكانوا يسمعون فيـــه الصوت[2] . والمنطبق وكان صنماً من نحاس يكلمون من جوفـــه ، فيأتيهم الجواب[3] . وبيت (الجلسد) ، صنم كندة وأهـــل حضرموت[4] . وقـــد ذكر (الجاحظ) : « أنهم كانوا يسمعون في الجاهليـــة من أجواف الأوثان همهمة ، وأن خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامـــة فخذه ، حتى عاده النبي ، صلى الله عليه وسلم » . وهو ممن يشكون في صدور مثل هذه الأمور إذ يقـــول : « « وهذه فتنة لم يكن الله ليمتحن بهـــا الأعراب وأشباه الأعراب من العوام . وما أشك أنه كان للسدنة حيل وألطاف لمكان التكسب»[5] .

---

١ الاصنام (ص ١٢) ، الطبري (٢/٩٧) .
٢ الاصنام (ص ١٨) .
٣ المجد (ص ٣١٨) .
٤ البلدان (٣/١٢٢ وما بعدها) .
٥ الحيوان (٦/٢٠١) .

تكليم الأصنام :

ويقوم الكهان بتكليم الصنم ، وهم الذين يفسرون للسائلين المهمة أو الأصوات الصادرة من تلك الأصنام ويتكلمون على ألسنتها بما يلائم السائل مقابل نذر وهدايا وألطاف يقدمونها الى السدنة . وهـذا النوع من التنبؤ ، معروف عنـد اليونان والرومان، مشهور ومعروف عند غيرهم من الأمم كالبابليين والأشوريين والعبرانيين. بل هو يؤلف جزءاً مهماً من أركان الديانات القديمة ، ويطلق عليه Oracle في الانكليزية من Oraculum اللاتينية ، ومعناها التكلم . ولهذا النوع من التنبؤ صلة كبيرة بالسحـر Magic وبالكهانة في الديانات القديمة والديانات البدائية عند بعض الشعوب الافريقية والاسترالية في الزمن الحاضر . وقد اكتسبت بعض معابد اليونان شهرة كبيرة في هذا النوع من التنبؤ بالغيب ، وأشهرها معبد (دلفي) Delphi الذي كسب شهرة عظيمة في هذا الباب[1] .

وقد ورد في بعض النصوص ، ان قوماً كلموا آلهتهـم في شهر (ذ اجبى ذ عثتر) و (ذ فرعم ذ عثتر) ، فأجابهم الإلـه (عثتر) على ما سألوا عليه . وورد ان جماعة من المؤمنين بـ (عم) ، كلموه ، فأجابهم على ما سألوا عنه . وكانوا اذا كلموا الآلهة ، فوجدوا ان الأجوبة غير منسجمة مع الأسئلة ، أعادوا الأسئلة عليها وقدموا قرابين جديدة لها ، أو وزادوا في الحلوان، يفعلون ذلك حتى يسمعوا الجواب المناسب لأسئلتهم[2] .

ولم أسمع بوجود تكليم في مكة . فلم يذكر أحد من أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يأتون الكعبة لسماع أجوبة الأصنام عن أسئلة يوجهونها اليها، ولا عن وجود سدنة كانوا يقومون بأي نوع من التكليم . وإنما ذكروا أنهم كانوا يسألون الأصنام النصح والارشاد ، والأمر والنهي بفعل فعل أو تركه ، ويكـون ذلك بالاستقسام بالأزلام . وقد خصص الصنم (هبل) بهذا النوع من الإرشاد . وكانت عنـده سبعة قداح ، كل قـدح منها فيه كتاب : قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة عليهم . فإن خرج العقل ، فعلى

---

١ Ency. Brita., Vol., 16, p. 830, T.D. Dempsey, The Delphic Aracle, 1918, L.R. Farnell, Cults of the Greek States, Vol., IV, p. 179.

٢ Grohmann, S. 251.

من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر ، إذا أرادوه يضرب به في القداح، فإن خرج قـدح فيه نعم ، عملوا به . وقدح فيه (لا) ، فإذا أرادوا الأمر ضربوا به في القداح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر . وقـدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيـه (المياه) ، فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيهـا ذلك القدح ، فحيثما خرج به ، عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحدهم،ذهبوا به الى هبل وبمئة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم الـذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا فلان ، أردنا به كذا وكـذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : إضرب ، فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطاً ، وإن خرج عليه من (غيركم) كان حليفاً ، وإن خرج عليه (ملصق)، كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج عليه شيء ممـا سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروه عامـه ذلك ، حتى يأتوا بـه مرة أخرى ، ينتهون في أمرهم ذلك الى ما خرجت به القداح [1] .

وهكذا كانت قريش والقبائل التي تحج الى مكة تأتي الى هبـل لاستشارته في قضايا تهمها . فما يخرج في القدح مما هو مكتوب ، يكون الجواب . غـير أن بعض الأجوبة قد يأتي على خلاف رغبة السائلين ، ولذلك كانوا يغرون الضارب على القداح بالضرب الى أن يخرج القدح الذي فيه يريدون ويشتهون.وقد يؤخرون ذلك بعض الوقت . وهم يفسرون النتيجة الـتي تظهر أنها رغبة الصنم وارادتـه بوحيها ، فتظهر بالقداح .

وذو الخلصة من الأصنام التي كان يستقسم عندها كذلك . والى هـذا الصنم ينسب قول أحد الشعراء لهذه الأبيات :

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثـلي وكان شيخك المقبـورا
لم تنه عن قتل العُداة زورا

---

١ الازرقي (٦٨/١ وما بعدها) ، الطبري (١٧٢/٢ وما بعدها) .

وهي أبيات ينسبها بعض الرواة الى امرىء القيس . وكان أبوه قتل ، ف الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنده بالازلام ، فخرج السهم ين عن ذلك ، فقال هذه الأبيات التي تتحدث عن غضب الشاعر على هذا الصنم لنهيه إياه عن الأخذ بالثأر . ولو كانت النتيجة كما يشتهي ، لما قال الشاعر الأبيات بالطبع ، وتجاسر على الصنم[1] .

ولما كانت الحروب والغزوات من القضايا المهمة ، كانت استشارة الأص والاستقسام بشأنها من الأمور المألوفة ، فكان أهل مكة اذا أرادوا الحرب عقد هدنة أو إبرام أمر خطير أتوا (هُبل) يستقسمون عنده ليعطيهم الر المصيب في هذا الموضوع .

والغالب ان يكون الاستقسام أمام الصنم ، ليقع في روع طالب الاستقسام ما يجري انما هو بعلم الصنم وبوحيه ، فيكون ذلك أوكد في نفسه وأعمق تأثير

أشكال المعابد :

هذا ولا بد لي ان أشير الى اننا لا نملك حتى الآن رأياً واضحاً قاطعاً شكل المعابد عند الجاهليين . ولا يمكن تكوين رأي واضح عن هذا النحو إلا قيام علماء الآثار المتخصصين بدراسة آثار المعابد والكشف عنها ورسم مخطط صحيحة لقواعدها وأسسها . ولذلك ، لا بد من مرور زمن ، حتى يتمكن ال من تكوين رأي في أصول المعابد ، وكيفية إقامتها من الوجهة الدينية الأصولية عند العرب قبل الاسلام .

واذا كان في استطاعتنا تحديد شكل (بيت الله) بمكة ، و (كعبة نجران و (كعبة سِنداد) ، أو (كعبات سنداد) ، كما يسميها البعض ، فإن الصعب علينا تحديد هيأة بيوت الأصنام في المعابد الأخرى ، لعدم ورود نص يعر صفة تلك البيوت في أخبار أهل الأخبار . فلا ندري أكانت مكعبات ، أم أشكال أخر .

ولما كانت المعابد بيوت الأرباب ، صارت لها حرمة خاصة وقدسية في ك

---

١ الاصنام (٣٥ ، ٤٧) .

دين ، فلا يجوز انتهاك حرمتها ، ولا القيام بأعمـــال شائنة دنسة فيها ، خاصة بالقياس الى الأماكن المقدسة جداً التي تعدّ محجة للناس . وقد اتخذت حول البيوت مواضع عدّت جزءاً من المعبد حددت بحدود ، فما كان داخلاً عدّ حرماً آمناً ، وما كان خارج الحد كان خارجاً عن المعبد ، فليست له تلك الحرمة التي عيّنتها شريعة القوم للمعابد .

وأقدس مكان في المعبد هو (البيت) ، أي الغرفة التي تضم الصنم أو الأصنام . فقد كان البيت ، وهو المسمى الكعبة في مكة ، أقدم موضع عند قريش وعنـد غيرهم من عبدة الأصنام الذين كانوا يقدسون (البيت الحرام) ، وذلك بسبب وجود الأصنام فيه .

ويعبر في العربية الجنوبية عن البيت الذي توضع فيه الأصنام ، بـ (مخنن)[1] فهو إذن بمثابة الكعبة بمكة .

ويقال للأرض الحرام المقدسة التي تحيط بـ (البيت) ، (الحرم) . قيـل سمي (الحرم) حرماً لتحريم الناس فيه كثيراً مما ليس بمحرم في غيره من المواضع[2] . وقد وردت اللفظـــة في الكتابات النبطية . فوردت في كتابة نبطية عثر عليها في (بطرا) علماً لحرم الإلـه ذي الشري ، قصد به الأرض المقـدسة المحيطة ببيت ذلك الصنم ، والمعبد كله ، لأنه محرم ومقدس : (حرم ذي الشرى الإلـه ربنا)[3] .

ولا يجوز لأحد انتهاك حرمة الحرم والاعتداء عليه . وإذا دخـل انسان الحرم صار آمناً مطمئناً ، لا يجوز أن يعتدى عليـه ، ولا أن يمس بسوء ، وإن كان قاتلاً . وحدود الحرم أنصابه ، وهي علاماته ، فمن اجتازها وصار في داخلها ، دخل في حرمة الحرم .

وما كان خارج الحرم ، هو من الحل ، أي من المنطقة الخارجة عن حرمة المعبد . فلا تشملها الأحكام المفروضة على الحرم .

وكان الرجل في الجاهلية إذا أحدث حدثاً ولجأ الى الكعبة ، لم يهج ، فكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم ، قيل له : هو صرورة ولا تهجه[4] .

---

١ Grohmann, S. 249.

٢ المفردات (١١٣) .

٣ Lidzbarski, Nord Semi. Epigra., S. 280, CIS., II, p. 350, G. A. Cooke, North Semi. Inscriptions, Oxford, 1903, p. 79, Ency. Religi., 6, p. 753.

٤ تاج العروس (٣/٣٣١) ، (صرر) .

ولمكانة الحرم في نفوس الجاهليين ولأنه موطن آمن من دخل فيه صار آمناً ، كان لا بد من تحديده ووضع معالم تشير الى نهايته ، إما بوضع أنصاب على أطرافه من تجاوزها الى داخله صار آمناً فلا يخاف على نفسه ، وإما ببناء حائل كجدار أو سياج أو أمثال ذلك ليكون اشارة الى حرمة ما وراءه في الداخل . وقد جعل أهل مكة حدود حرم البيت أنصاباً من تجاوزها الى الداخل صار في حرمة الحرم وفي حماية رب البيت .

وكانت أرض المعابد ، أي حرمها ، واسعة في الأصل ، ذات ماء وأشجار وحمى ، ثم تقلصت وضيقت وحددت بحدود ، بسكن الناس حولها ، وبتقربهم من المعبد ، وبزيادة عدد عبّاده . فعندما يتألق نجم معبد ، ويكثر المؤمنون بصاحبه ، يكثر زوّاره ، ويتسابق الناس الى السكن بجواره والتقرب منه جهد امكانه ، إذ يكون ذلك شرفاً لهم . شرف مجاورة البيت ، كما يكون مكسباً ومورداً طيباً للمال ، لرغبة الزوار في مجاورة المعبد ، فيدفع هذا الطمع ، أصحاب النفوذ والجاه على اختلاس الأرض والتجاوز على حدود الحروم فتضيق . كالذي حدث بمكة ، إذ كان الحرم واسعاً كبيراً ، يشمل الوادي كله ، فلما هبط (قصي) به وابتنى البيوت ، اعتدى من جاء بعده على الحرم حتى صغر ، مما دفع الخلفاء على شراء البيوت المجاورة وهدمها لاعادة أرضها الى الحرم ليتسع صدره للناس .

وتلحق بالمعابد أرضون ، يقال لها (حمى) لأنها في حماية الأرباب والأصنام ورعايتها ، فلا يعتدى عليها ، ولا يقطع شجرها ولا يرعى فيها ولا يسمح بصيد الحيوان فيها والاعتداء عليه في أرض الحمى[1] . فكان في الطائف (حمى) ، وهو (حمى اللات) ، وقد خصص به ، وكان حمى في جرش[2] . بل كان وادي مكة الذي أُقيم البيت به (حمى) لرب البيت ، ولم يكن يسمح لأحد قبل (قصي) بقطع شجره ، ولا التجاوز على ما فيه من نبت . وقد كان (قُصي) كما يقول أهل الأخبار أول من اقتطع شجره ، وأقام البيوت لسكناه وسكنى قريش في ذلك الوادي .

ويفهم من كلام (نيلوس) Nilus أن العرب لم يكونوا يحيطون مواضعهم

---

١ اللسان (١٤/١٩٩) ، العرب في سوريا قبل الاسلام (١١١) .

٢ Ency. Religi., 6, p. 753.

المقدسة التي فيها أصنامهم بأسوار ، وإنما كانوا يجعلون لحرمها حجارة تكون حدّاً وعلامة للحرم . ويتبين من كلام هذا المؤرخ الذي أسر العرب ابنه وأرادوا تقديمه الى الزهرة قرباناً على حدّ قوله ، أنه قصد بالعرب الأعراب ، ولا سيما أعراب طور سيناء ، وقد كانوا أشداء غلاظاً يلقون الرعب في النفوس ، وكانوا يتاجرون بالرقيق يقبضون على من يقع في أيديهم ويبيعونه في أسواق الرقيق . وجماعة هذا شأنها لا تستقر في مكان ، لا يمكن بالطبع أن يكون لها معبد ثابت ، وإنما يكون معبدها الموضع الذي يوضع صنم القبيلة فيه . ولتعيين الأرض الحرام توضع تلك الحجارة .

إلا أن هذا لا يعني أن معابد أهل المدر كانت مسورة أو ذات حائل دائماً ، فقد ذكرت أن حرم بيت الله بمكة لم يكن مسوراً ، بل كان معلماً بأنصاب . ومكة موضع حضر . أما حرم معبد (المقه) بمأرب وكذلك أكثر معابد أهل اليمن ، فقد كانت مسوّرة بأسوار عالية قوية ، لها أبواب يدخل المتعبدون منها ، تفتح وتغلق كما نفعل هذا اليوم في دور العبادة عندنا .

ومن المعابد الشهيرة : (البيت الحرام) ، أي (الكعبة) بمكة ، وسأتكلم عليه في موضع خاص . ومعبد (ذو الشرى) Dushare بمدينة (بطرا) ، و (كعبة سنداد) ، و (كعبة نجران) ، ومعابد عديدة في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، ولا سيما اليمن .

والفضل في ظفرنا ببعض المعارف عن (بيت الرب) بمدينة (بطرا) ، يعود الى الكتابات النبطية ، والى ما كتبه بعض الكتبة اليونان والسريان عنه . وقد خصص هذا البيت بعبادة الإلـه (ذي الشرى) ، الذي هو (رب البيت)[1] التي أطلقها النبط على إلههم ، تذكرنا بجملة أخرى معروفة في الجاهلية عند أهل مكة ، كما هي معروفة عند المسلمين حتى اليوم ، هي جملة : (رب البيت) ، التي تعني إلـه البيت ، وهو الكعبة ، وقد أقرها وثبتها الاسلام . وقد نعت (رب البيت) ، (رب بيت ذي الشرى) بـ (الذي يفرق الليل عن النهار)[2] وهو نعت له أهمية كبيرة في تكوين فكرة عن وجهة نظر عبّاده اليه .

---

١ CIS, II, 235, RES, 1088.

٢ RES, 1102, Ency. Religi., p. 122.

وقد نصب في هذا المعبد الصنم (ذو الشرى) على قاعدة مكسوة بالذهب ، في بيت موشى بالذهب وبالصور التي تمثل مشاهد تقديم القرابين اليه . وهو في موضع مرتفع على صخرة عالية ، يحج اليه الناس من مواضع بعيدة ، للتقرب الى ذلك الإلـه الذي يقابل الإلـه (باخوس) و (ديونسيوس) (Dionysos- Bacchus في رأي الكتبة اليونان واللاتين[1] .

وكان لهذا المعبد حج يقع في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول من كل عام ، فيفد اليه الناس من أماكن بعيدة للتقرب الى (رب البيت) ، فينحرون ويقضون الأيام المعينة ، ثم يعودون الى ديارهم . والظاهر ان هذه الكعبة لم تكن خاصة بأهل (العربية النبطية) ، انما كانت محجة لغيرهم من العرب ، كما يتبين ذلك من تصريحات بعض الكتبة (الكلاسيكيين) عنها .

وقد عرفت بعض معابد الجاهليين بـ (الكعبات) . ويدل ذلك على أن بناءها كان على هيأة مكعب كشكل بناء الكعبة ، وعلى أن العرب كانوا يبنـون بيوت الأصنـام الكبرى على هذا النحو . من هذه كعبة (سنداد) عـلى ما يذكره الأخباريون ، وهي قصر كانت العرب تحج اليـه فيطوفون حوله ، وقد عرف بـ (الكعبات) جمع كعبة وهو البيت المربع والمرتفع ، وبـ (ذات الكعبات) . و (ذي الكعبات) وكان مركز حـج قبائل بكر بن وائل وإياد[2] . ولكـن الأخباريين لم يتحدثوا بشيء من التفصيل عن هذا المعبد وعن كيفيته وشكله وعن الأصنام التي كانت فيه . وقد ذكر (ابن الكلبي) أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة ، إنما كان منزلاً شريفاً[3] .

وذكر أن (ذات الكعبات) بيت كان لبكر وتغلب ابني وائل وإياد، وذكر أنه بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به . وذكر أنه كان لإياد ، وكان كعبـة

---

١ Ency. Religi., 9, p. 122, Epiphanius, Hoer., LI, 22.

٢ البلدان (٥/١٥٠) ، « سنداد » ، (٧/٢٥٥) ، اللسان (١/٧١٨) ، (كعب) ، تاج العروس (١/٤٥٦ وما بعدها) ، Ency., II, p. 590.

٣ الاصنام (ص ٤٥) ، « وكان لربيعة بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات . وقيل : ذا الكعبات ، وقد ذكره الاسود بن يعفى في شعره ، فقال : والبيت ذي الشرفات من سنداد » .
اللسان (١/٧١٨) ، (كعب) .

بسنداد بين الحيرة والابلة[1] . وهو من منازل إياد أسفل سواد الكوفة ، وكان عليه قصر تحج العرب اليه[2] .

وكان بنجران بيت عبادة عرف بـ (كعبة نجران) . وهو بناء بُني على هيأة الكعبة . وفي رواية تنسب لابن الكلبي انها كانت قُبة من أدم من ثلاث مئة جلد ، كان اذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفداً رفد[3] . ويستخلص من الأخبار الواردة عن هذه الكعبة ومن أسماء أصحابها ومن كونهم أساقفة انها كانت بيعة أسسها النصارى في مركز النصرانية في اليمن ، وهو موضع نجران ، وانه لا علاقة له بالوثنية . ويذكر الأخباريون ان بني عبد المدان ابن الديّان الحارثي أقاموها هناك ، مضاهاةً للكعبة[4] . وقد ذكر (ابن الكلبي) ان كعبة نجران لم تكن كعبة عبادة ، وانما كانت غرفة يعظمها القوم من بني الحارث بن كعب[5] . وبنو الحارث بن كعب هم رؤساء نصارى نجران .

وذكر بعض أهل الأخبار ان كعبة نجران وكانت لمذحج وبني الحارث بن كعب، عرفت بـ (الربة)[6] .

وقد ذكر (ابن الكلبي) ان رجلاً من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب أراد بناء بيت بأرض من بلادهم يقال لها الحوراء ليضاهي به الكعبة حتى يستميل به العرب ، فأعظم قومه ذلك ، وأبوا عليه[7] . ونجد في كتاب (الأصنام) لابن الكلبي ، وفي كتب أهل الأخبار أسماء مواضع ذكر انها كانت بيوت عبادة حج اليها العرب حجهم لمكة . وذكر ان قريشاً بَنَتْ للعزى بيتاً بوادي حراض بإزاء الغمير ، وحمت له شِعباً من وادي حراض يقال له سقام ، يضاهون به

---

١ تاج العروس (١/ ٤٥٧) ، (كعب) ، الاصنام (٤٥) ، البلدان (٥/ ١٤٩) .
٢ تاج العروس (٢/ ٣٨٣) ، (سند) .
٣ البلدان (٨/ ٢٦٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٣/ ٥٥٦) ، (نجر) .
٤ البلدان (٨/ ٢٦٢) .
٥ الاصنام (ص ٤٥) .
٦ تاج العروس (١/ ٢٦٢) ، (ربب) ، قال الاعشى :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناجي بأبوابها
يزور يزيد وعبد المسيح وقيسا هم خير أربابها

تاج العروس (٣/ ٥٥٦) ، (نجر) .
٧ الاصنام (٤٥) .

الكعبة ، وقد حجت اليه ، وكانت تنحر عنده، ويتقربون الى العزى بالذبائح[1] .

وقد ذكر الأخباريون أنه كان بعكاظ صخور يطوف الجاهليون بهـا ويحجون اليها[2] . وإذا تذكرنا (دومة الجندل) ومعبدها الكبير ، فلا يستبعد أن تكـون الأسواق الأخرى مواضع مقدسة قديمة كانت محجة للناس عامرة تفـد اليها القبائل في مواسم الحج ، ثم فقدت خطورتها قبيل الإسلام ، ولم يبق عليهـا إلا طابع الأسواق التجارية .

وتكون في المعابد مواضع يلقي فيها العباد وأصحاب النذور هداياهم ونذورهم التي يتقربون بها الى آلهة المعبد . وقد أشار أهل الأخبار الى وجودهـا في الكعبـة وفي المعابد الجاهلية الأخرى. ويظهر من وصفهم لها أنها كانت على شكل حفر ، تلقى فيها تلك الهدايا والنذور . فذكر الأخباريون أنه كان على يمين الداخل الى البيت (جب) ، اتخذ خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى الى الكعبة ، وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي (هُبَل) وهو صنم كانت قريش تعبده . وقـد عرف علماء اللغة الجب بأنه البئر[3] ، ووصفها (الأزرقي) ، فقال : إنها كانت في جوف الكعبة على يمين من يدخلها ، وكان عمقها ثلاث أذرع ، وان اسمهـا (الأخسف) ، وكانت العرب تسميها (الأخشف)[4] .

السقاية :

وفي المعابد سقايا ، يستقى منها الماء للشرب وللتطهر ، كأن تغسل الأوجـه والأيدي والأرجل بالماء ليسمح للزائر بدخول المعبد ، أو لتحل له إقامـة الشعائر الدينية . ويعد الماء ماءً مقدساً ، لأنه من أرض مقدسة ، ولذلك يتبرك به أيضاً، ويستشفى بالشرب منه . وقـد عثر المنقبون على آثار آبار وأحواض مطمورة في حرم المعابد ، كان المتعبدون يستفيدون من مياهها عند زيارتهم بيوت أربابهم ،

---

١ الاصنام (ص ١٦ ، ١٨ وما بعدها) .
٢ البلـدان (٦/٢٠٣) ، المشرق ، السنة ٣٧ ، نيسان ـ حزيـران ، ١٩٣٩ م (ص ٢٢٠) .
٣ اللسان (١/٢٥٠) « صادر » .
٤ أخبار مكة (١/٢٧ ، ٦٨) ، البلدان (٧/٢٥٨ وما بعدها) .

وعند أدائهم الشعائر الدينية . وبئر زمزم ، هي البئر الوحيدة الباقية من آبار بيوت الله التي كانت في الجاهلية .

وقد كانت سقاية الحاج من المآثر الكبيرة عند أهل مكة،وهي تسقية الحجاج من الزبيب المنبوذ بالمـــاء . وكان يليها في أيام الرسول العباس بن عبد المطلب[1] . وكان بعضهم يسقي الحاج اللبن بالعسل .

المذابح :

وتلحق بالمعابد مذابح تذبح عليها القرابين التي يتقرب بها المؤمنون الى آلهتهم، ويقال للواحد منها ، (مذبـح) و (نصب) و (مصب) و (غبغب) . وقد وردت لفظة (مذبح) و (مذبحت) ، أي (المذبحة) ، في طائفة من الكتابات . وهي مواضع الذبح ، حيث يكون تقريب القرابين الى الآلهة .

وقد ذهب علماء اللغة مذاهب في تحديد معنى (النصب) ، فرأى بعضهم ان النصب كل ما عبد من دون الله ، وذهب بعض آخـــر الى ان النصب صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه ، وتذبح عنده ، فيحمرّ للدم ، وذهب آخرون الى ان الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب ، ويذبح عليها لغير الله تعالى[2] . وعرفها بعضهم بقوله : « النصب الأوثان من الحجارة ، جماعـــة أنصاب كانت تجمع في الموضع من الأرض ، فكان المشركون يقربون لها وليست بأصنام » ، « قال ابن جريج : النصب ليست بأصنام . الصنم يصور وينقش، وهذه حجارة تنصب ثلثمائة وستون حجراً . منهم من يقول ثلثمائة منها بخزاعـــة . فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة . فقال المسلمون : يا رسول الله ؟ كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحق ان نعظمه »[3] . ولو أخذنا برواية (ابن جريج) ، خلصنا الى ان هـذه

---

١ اللسان (٣٩٢/١٤) . (سقى) ، الاصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) .
٢ اللسان (٧٦٠/١) « صادر » ، (٢٥٩/٢) « بولاق » ، القاموس (١٣٢/١) ، تاج العروس (٤٨٦/١) ، الاصنام (٩٧) ، تفسير الطبري (٤٤/٦) ، الاصنام (٣٣) ، (المطبعة الاميرية ١٩٦٤) .
٣ تفسير الطبري (٤٨/٦) .

الأنصاب ، كانت بعدد أصنام الكعبة ، اي انهم كانوا قد خصصوا بكل صنم نصباً ، يذبحون عليه ما يتقربون به اليه من عتائر . فقد كان عدد أصنام الكعبة ثلثمائة وستون حجراً عـام الفتح على ما يذكره أهـل الأخبار ، إلا اذا اعتبرنا ما ذكروه عن عدد الأصنام وهماً ، وأخذنا برواية (ابن جريج) التي هي دون الرواية الأخرى في الشهرة والذكر .

وأشير الى (النصب) في شعر ينسب الى (الأعشى) ، يقال إنـه قاله في مدح الرسول . هو :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعاقبـة والله ربك فاعبـدا [1]

وعلى كل ، فنحن لو أخذنا بالروايتين ، أو برواية واحدة منها ، فإن العدد (٣٦٠) يلفت النظر حقاً . فلمَ خصص رواة الخبرين عدد الأصنام أو الأنصاب بهذا الرقم ، وهل يمثل ذلك شيئاً له صلة بالفلك ، أو بأسطورة دينية قديمـة كانت عند أهل مكة ؟

وقد وردت كلمة (النصب) في آية اللحوم المحرمات التي لا يجوز أكلها في القرآن الكريم : « حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أُهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبعُ ، إلا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب »[2] . فجعلت الذبائح التي تذبح عـلى النصب للأصنام في جملة التي لا يحل للمسلم أكلها ، فيفهم من هـذه الآية أن النصب مواضع تذبح عليهـا القرابين . كما وردت في موضع آخر من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمـل الشيطـان . فاجتنبوه »[3] . وقد ذكر علماء التفسير ، أن الأنصاب التي يذبحون عندها [4] .

وقـد ذكر علماء التفسير ، ان أهل الجاهلية كانوا قـد وضعوا حول الكعبة

---

١ تاج العروس (١/٤٨٦) ، (نصب) .
٢ المائدة ، الآية ٣ .
٣ المائدة ، الرقم (٥) ، الآية ٩٠ .
٤ تفسير الطبري (٧/٢١) .

أنصاباً ، أي حجارة كانوا يذبحون عليها ، فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم : وجعلوه على الحجارة . وكانوا يبدلونها إذا شاؤوا بحجر هو أحب اليهم منها[1] . كما كانوا قد وضعوا الأنصاب في بيوت الأصنام الأخرى ، يذبحون عليها ذبائحهم لها . وقد أشير الى (المائرات)، أي الدماء : دماء الذبائح لـ (رشيد بن رميض العنزي) :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصار تركن لدى السعير[2]

و (عوض) صنم لبكر بن وائل ، و (السُعَير) صنم لعنزة خاصة .

و (نصب) هي (نصب) و (مصب) في اللهجات العربية الجنوبية ، و (نصب) و (مصبت) في الفينيقية ، و (مصبه) Masseba في العبرانية . ويراد بها مذبح ، تذبح عليها القرابين والضحايا التي يقدمها المتعبدون الى معبودهم Deity . ويعرف بـ Altar أي مذبح في الانكليزية . وهو من حجر واحد في الأصل ، قد يذبح عليه ، فيسيل الدم فوقه ويتلطخ به ، وقد يكون في نظرهم بمثابة المعبود الذي تقدم الضحية اليه . وقد يذبح عليه ، فيسيل الدم من فتحة تكون فيه الى بئر تتجمع فيها دماء الذبائح ، تكون عند قاعدة النصب .

وقد تخصص المذابح بحرق لحم الذبيحة كله أو بعضه عليها ، تقرباً الى الأصنام، كالذي كان يفعله العبرانيون[3] .

وقد عثر المنقبون على أحجار عديدة اتخذت أنصاباً لذبح القرابين عليها أو عندها ، عثر عليها في العربية الجنوبية بصورة خاصة . وفي بعضها فتحة على هيأة ثقب تسيل منه دماء القرابين الى موضع تتجمع فيه . وفي بعض آخر مسايلُ جانبية ، تسيل الدماء منها الى الخارج . وهذه الأنصاب هي (مذابح) ويقال للواحد منها (مذبحم) في العربيات الجنوبية أي (مذبح) . ولذبح القرابين (ذبحن) و (ذبحم) ، أي (الذبح) و (ذبح) .

---

١ تفسير الطبري (٤٨/٦ وما بعدها) ، « وهي أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للاصنام » ، ارشاد الساري (١٧٢/٦) .
٢ تاج العروس (٢٦٨/٣) ، (سعر) ، (٥٥٠/٣) ، (مور) .
٣ Hastings, p. 23.

فالنصب اذن ، الأحجار التي تذبح عليها القرابين وما يهل للأصنام . والعادة أن تكون أمام الصنم ، وعلى مقربة منه . فإذا ذبح القربان سال دمه على النصب الى ثقب يؤدي الى حفرة يتجمع فيها الدم . هي (الغبغب) . و (النصب) هو (مصبه) Massebah في العبرانية ، حيث كانوا يذبحون عليها القرابين . ولكثرة ما كان يذبح عليها صارت تبدو حمراء من لون الدم ، وقد أشير الى الحمرة في حـديث اسلام (أبي ذر الغفاري) ، إذ ذكر أنه وصف تعذيب قريش له بقوله : « فرماني الناس حتى كأني نصب أحمر »[1] .

وليس لأهل الأخبار رأي واحد في (الغبغب) ، وإنما ذهب بعضهم الى أن الغبغب هو المنحر ، وذهب بعض آخر الى أنه خزانة المعبد ، يلقي الناذرون فيها ما عندهم من نذور وقربات ، وذهب فريق آخر الى أنه بيت كان الناس يحجون اليه ، كما يحج الى البيت بمكة[2] . وقيل إنه كان لمعتب بن قيس بيت يقـال له غبغب ، كانوا يحجون اليه[3] .

والذي عليه أكثر أهل الأخبار أن (الغبغب) المنحر . وقد صرح بذلك (ابن الكلبي) في كتاب (الأصنام) : وهو يتحدث عن (العزى) ، فقال : « ولها منحر ينحرون فيه هداياها ، يقال له الغبغب »[4] . كما صرح بذلك علماء اللغـة إذ عرفوا الغبغب بأنه المنحر ، أو نصب كان يذبح عليه في الجاهلية ، أو كل مذبح بمنى . وقد خصصه بعضهم بمذبح منى[5] : أو هو حجر ينصب بين يدي صنم ، وكان لمناف مستقبل ركن الحجر الأسود غبغب ، وقيل كانا اثنين.ويظهر من شرح علماء اللغـة للمثل : (رب رمية من غير رامٍ) ، ينسب قوله الى الحكم بن عبد غوث أن الغبغب هو المذبح ، أي المنحر الذي ينحر عليه[6] .

---

١ الاصابة (٤/٩٣) ، (الرقم ٣٨٤) ، « فخررت مغشيا علي ، ثم ارتفعت كأنـي نصب أحمر » ، الاصنام (١١١) .

٢ مراصد الاطلاع (٢/٩٨٣) ، البـلدان (٤/١٨٥) ، اللسـان (١/٦٣٧) ، تاج العروس (١/٤٠٣) ، البلدان (٦/١١٢) ، الاصنام (١١١) ، ابن هشـام (١/٥٥) .

٣ ابن هشام (١/٥٥) ، البلدان (٦/١١٢) .

٤ الاصنام (١٣) « روزا » .

٥ اللسان (١/٦٣٧) .

٦ اللسان (١/٦٣٧) « صادر » ، (٢/١٢٨ وما بعدها) « بولاق » ،تاج العروس (١/٤٠٣) ، (غب) ، البلدان (٦/٢٦٥) ، (الغبغب) .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن (بيوت) الآلهة انه كان لكل (بيت) (غبغب) ، تذبح فيه هداياها ، أي ما يهدى الى تلك البيوت من قرابين . وقيل : الغبغب : المنحر ، وهو جبيل بمنى ، فخصص . وقيل كل منحر بمنى غبغب . قال الشاعر :

والراقصات الى منى فالغبغب[1]

ويذكر علماء اللغة ان (الغبغب) (العبعب) كذلك[2] . وان العبعب موضع الصنم . وصنم لقضاعة ومن داناهم[3] . وبيت كان لمعتب بن قيس، كانوا يحجون اليه كما يحجون الى البيت[4] . ويظهر من هذا الشرح ان (الغبغب) و (العبعب) ، كلمة واحدة ، لشيء واحد .

و (الغبغب) (الجب) كذلك . وهو حفرة يجمع فيها دم البدن ، والجمع (الجباجب) . قال « الزبير بن بكّار : الجباجب جبال مكة حرسها الله تعالى، أو أسواقها أو منحر . وقال البرقي ، حُفرٌ بمنى كان يلقى به الكروش ، أي كروش الأضاحي في ايام الحج ، أو كان يجمع فيها دم البدن والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها »[5] .

ويفهم أحياناً ان (الغبغب) ، حفرة أو بئر ، كان المتعبدون للأصنام يرمون بها نذورهم وهداياهم وما يتقربون به الى أصنام من نذور نفيسة ، من ذهب أو فضة أو حجارة كريمة . فكانت تحت صخرة (اللات) حفرة عرفت بـ (الغبغب) حفظت فيها الهدايا والنذور والأموال التي كانت تقدم الى الصنم . فلما هدم الصنم أخذت من الغبغب تلك الأموال[6] . ويرادف الغبغب (الجب) ، الذي يقال له (الأخسف) و (الأخشف) ، وهو بئر في جوف الكعبة نصب (هبل) عليه . كان الناس يرمون فيها نذورهم وهداياهم . وتقع على يمين من يدخل البيت ، وكان عمقها ثلاث أذرع[7] .

---

١ تاج العروس (١/٤٠٤) ، (غب) .
٢ تاج العروس (١/٤٠٣) ، (غب) .
٣ تاج العروس (١/٣٦٣) ، (عب) ، البلدان (٦/١١٢) ، الاصنام (١١١) .
٤ البلدان (٤/١٨٥) .
٥ تاج العروس (١/١٧٤) ، (جبب) .
٦ الطبري (٣/٩٩ وما بعدها) .
٧ أخبار مكة ، للازرقي (١/٦٦ وما بعدها) .

و (الغريّ) مذبح على ما يظهر من تفسير علما اللغة لهذه اللفظة . يظهر أنه كان صخرة تذبح عندها الذبائح وتطلى بدمها ، أو نصب تذبح القرابين عليه[1] .

ويعبر عن المذبح الذي تذبح عليه الحيوانات الكبيرة، مثل البقر بلفظة (حردن)[2].

ومن الألفاظ التي تطلق على المذبح ، (منطف) و (منطفت) ، أي (المنطفة) ، وهي المذبحة[3] . والمذبح ، هو (مذبحت) في نصوص المسند ، أي موضع الذبح .

المحارق :

وتلحق بالمعبد محارق ، تحرق فيها القرابين ، يقال لها (مصرب)[4] . وقد كان العبرانيون يحرقون قرابينهم ، في محارق تلحق بالمعبد ، وتكون جزءاً منه . أما العرب ، فإننا لا نستطيع أن نقول إنهم كانوا يحرقون قرابينهم في كل جزيرة العرب ، لأننا لا نملك أدلّة آثارية على ذلك ، إلا معابد اليمن واعالي الحجاز ، حيث عثر على آثار المحارق في معابدها، مما يدل على أنهم كانوا يحرقون القرابين.

و (المصرب) ، المحرقة ، الموضع الذي يحرق به الخشب ذي الرائحة الطيبة أو البخور ، وهو مبخرة ، تكون في المعابد ، يحرق بها ، لتفوح منها روائح طيبة ، أثناء العبادة . وقد أشير اليها في نصوص المسند .

البخور والمباخر :

وللتبخير شأن كبير في أداء الفروض في المعابد ، إذ لا بد من حرق البخور فيها ، فيبخر بها المذبح والأصنام كما يبخر القائمون بأداء تلك الفروض . وتسمى المبخرة بـ (مسلم) ، وبـ (مقطر) وذلك في لغة بعض الجاهليين[5] .

---

١ اللسان (١٢٢/١٥) ، (غرا) ، تاج العروس (٢٦٤/١٠) .

٢ Grohmann, Arabien, S. 247.

٣ Grohmann, Arabien, S. 249.

٤ Grohmann, Arabien, S. 247.

٥ Grohmann, Arabien, S. 247.

و (المجمرة) والمجمر ، الموضع الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة للتجمير[1] .

وقد أشير الى المجمرات والمباخر في كتابات المسند . وعثر المنقبون على نماذج منها ، قدمها الناذرون نذوراً الى آلهتهم ، وقد وضعوها في معابدها ، وهي في جملة الهدايا المرموقة التي تقدم الى المعابد بعضها من أحجار وبعضها من معدن بذل جهداً في صنعته وفي زخرفته حيث يكون هدية قيّمة تكون خليقة بوضعها في المعابد .

وقد كان الناس يأتون بالمجامر ليجمّروا بها الكعبة تقرباً بعملهم هذا الى الأصنام ، وذكر ان حريقاً أصاب الكعبة ، بسبب تطاير شرر من مجمرة امرأة جمرت البيت ، فأصاب ستار الكعبة ، فاحترق . والتجمير ، هو من شعائر التقدير والتعظيم . وهو مما يدخل في الطقوس ، وقد صرفت المعابد القديمة أموالاً على شراء (العود) وغيره لاحراقه في المجامر ، لتطييب المذبح والمعبد به . وكان البخور مما يبخر به في المعابد أيضاً . وقد استعمله الجاهليون في بيوتهم المعظمة كذلك .

وتلحق بالمعابد مواضع يخزن فيها ما يقدم الى المعبد من هدايا ونذور ، وما يرد اليه من غلات أوقافه . واذا كانت النذور والهدايا ماشية ، فقد تحفظ في مواضع بعيدة عن المعبد،أو توضع في احماء المعابد لترعى بها . ولا يجوز التعرض لها بسوء . وتعلم بعلامات تشير إلى أنها مما حبس على الأصنام . وكانت لهبل خزانة للقرابين . وكان قربانه مئة بعير ، وله حاجب يقوم بخدمته[2] . وفي جملة ما أهداه الناس الى أصنامهم السيوف والملابس ، وكانوا يعلقونها أحياناً على الأصنام[3] .

سدنة الآلهة :

ولبيوت العبادة سدَنة وحجبة وخدم ، يقومون كلهم بخدمة البيت وما فيه من أصنام . ويعبر في عربيتنا عن الذي يتولى أمر الصنم بـ (السادن) و (سادن الصنم).

---

١ تاج العروس (٣/١٠٨) ، (جمر) .
٢ الازرقي ، أخبار مكة (١/٦٨ وما بعدها) .
٣ نهاية الارب (١٦/١٩) .

وهو المسؤول عن الصنم أو الأصنام ، ومتولي أمرها . وهو المرجع الأعلى في سلسلة الرتب بالنسبة الى المعابد . ويعبر عنه بلفظة (شوع) في المعينية [١] ، وبلفظة أخرى هي (رشو) . وأما إذا كان السادن امرأة ، فيقال لها (رشوت) (رشوة) عندئذ [٢] .

ويقال لسادن الآلهة (افكل) (أفكل) في اللحيانية . جاء (افكل لت) (أفكل لات) أي (سادن اللات) [٣] . وتقابل هـذه اللفظة لفظة (ابكالو) Apkallu في اللغة الأكادية [٤].

وتعد السدانة من المنازل الدينية والاجتماعية الرفيعة عند الجاهليين . وبيد السادن في العادة مفتاح بيت الصنم أو الأصنام . وتكون وراثية في الأغلب تنتقل في أفراد العائلة من الأب الى ابنه الأكبر أو الى غيره من البارزين في الأسرة . وهي منزلة شرف ، تكسب صاحبها جاهاً ، كما تكسبه مالاً ، لما تأتي به اليه من حبوس ونذور وقرابين . لذلك صارت سبباً لوقوع خصومات بين الأسر ، من أجل الاستحواذ عليها ، كالذي حدث مراراً في مكة من أجل الحصول على مفاتيح البيت .

وسدنة الأصنام في الجاهلية قومتها وحجابها ، وكانت السدانة واللواء بمكة لبني عبد الدار في الجاهلية ، فأقرها النبي لهم في الإسلام . فكان اليهم أمر مفتاح البيت [٥] .

ومن قدماء من كانت اليهم ولاية أمر البيت الحرام أي سدانته ، رجل زعموا انه ولي أمر البيت بعد جرهم ، ودعوه (وكيع بن سلمة بن زهير (زهر) الإيادي) . جعلوه سادناً ، وجعلوه كاهناً ، فنسبوا اليه سجعاً من نوع سجع الكهان . ذكر انه جمع إياداً قبيل وفاته فنصحها وأوصاها . وزُعم انه بنى صرحاً بمكة ، وجعل فيه سلّماً كان يرقاه ليناجي الله. وكان الجاهليون يرون انه صدّيق

---

١ راجع النص رقم ٤ و ٥ من كتاب : نقوش خربة معين .

٢ Grohmann, Arabien, S. 248.

٣ Grohmann, Arabien, S. 82, Jaussen-Savignac, Mission, II, 506.

٤ Grohmann, Arabien, S. 248.

٥ تاج العروس (٩/٢٣٣) ، (سدن) .

من الصدّيقين ، وانه ينطق بالخبر اليقين من السماء . وذكر انه صاحب الصرح المعروف بحزورة مكة ، وانه هو القائل : « اسمعوا وصيتي : الكلام كلمتان ، والأمر بعد البيان . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه ، وكل شاة معلقة برجلها » . فكان أول من قال هذه الكلمة ، فذهبت مثلاً [1] .

ويذكر أهل الأخبار انه لما مات وكيع ، نعي على الجبال . وفيه يقول بشير بن الحجير الإيادي :

ونحن إياد عباد الإلـه ورهط مناجيه في سلم
ونحن ولاة الحجاب العتيق زمان النخاع على جرهم

ويفسرون زمان النخاع بأنه داء يقال له النخاع ، سلّط على جرهم ، فأفنى منهم ثمانين كهلاً في ليلة واحدة ، سوى الشباب . وفي هذا الداء قال بعض العرب :

هلكت جرهم الكرام فعالاً وولاة البنية الحجاب
نخعوا ليلة ثمانين كهلاً وشباباً كفى بهم من شباب [2]

ويظهر ان داءً كان قد تفشى في عهد غير بعيد عن الاسلام بين جرهم ، فبقيت ذكراه في النفوس . ولا بد ان يكون (وكيع بن سلمة) ممن عاشوا قبيل الاسلام أيضاً ، فبقيت ذكراه في أهل مكة ، وإلا لما حفظت الذاكرة اسمه .

وقد ذكر أهل الأخبار أحياناً أسماء الأسر التي تولت سدانة البيوت المعظمة والمحجات ، كما ذكروا أسماء السدنة ، ولا سيما السدنة الذين كانت اليهم سدانة تلك البيوت عند ظهور الاسلام . وهم من أسر عريقة ، توارثت هذا المنصب من عهد بعيد ، وحافظت عليه ، وصارت بذلك من أشراف القوم .

---

١ المحبر (ص ١٣٦) ، الامثال ، للميداني (٢/٨١) ، البيان والتبيين (٢/١٠٩) ، بلوغ الارب (٢/٢٦٠) .

٢ بلوغ الارب (٢/٢٦٠ وما بعدها) .

حرمة المعابد :

ومع الحرمة التي كانت للمعابد ، انتهك المستهترون وذوو الحاجة حرمتهـا ، فسرقوا ما تمكنوا عليه من خزائنها . فقد سرقت خزانة الكعبة مراراً . ذكر أهل الأخبار أن سارقاً سرق من مالها في زمن جرهم ،وانه دخل البئر التي فيها كنزها، فسقط عليه حجر فحبسه فيها حتى أخرج منها وانتزع المال منه . وسرقت قبيل بنيانها في أيام الرسول ، سرقها فتيان من فتيان قريش وأودعوا المال عند (دويك) مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة . فقطعت قريش يده[1] .

---

١ الروض الانف (١/١٣٠) .

obeikandl.com